مُقَدِّمَة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومَن والاه.

أما بعد:

فقد صدرت طبعات عديدة من كتاب (دعوة أهل الكتاب لدين رب العباد) - بفضل الله - وانتُفع به، وطُلبت ترجمته بأكثر من لغة، وتم عرضه على المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وأُجيز، ثُمَّ رُؤي أن يُطرح في هيئة أجزاء صغيرة؛ حتى يكون في متناول اليد.

وهذه الطبعة تصدر في وقت تطاول فيه بابا الفاتيكان الكاثوليكي بروما على شخص رسول الله ﷺ، حيث نقل مؤيدًا قول الإمبراطور البيزنطي للأديب الفارسي المسلم أن النَّبيّ ﷺ ما جاء إلاَّ بالشرّ والسوء بالنسبة للإنسانية، وأن دعوته ما انتشرت إلاَّ بحدّ السيف - كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون

إلاّ كذبًا - بل جاء بالحق وصدّق المرسلين، ولا تُعرف نبوة نبي إلاّ من طريقه صلوات الله وسلامه عليه.

والبشارة به ﷺ موجودة في الكتب السابقة، ما لا يقل عن مائة وخمسين بشارة، مبعثه ومهجره وهيئته ودعوته... والكفر به كُفرٌ بالله وبجميع الأنبياء والمرسلين، هو سيد الأولين والآخرين والمبعوث رحمة للعالمين، أول شافع وأول مشفع، صاحب لواء الحمد، آدم فمن بعده تحت لوائه، ولو كان موسى وعيسى أحياء زمن بعثته ﷺ لكان لزامًا عليهما أن يتابعاه.

هو أول من يدخل الجنة، فيقول خازنها مَنْ؟ فيقول: محمد. فيقول: بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك، بُعث ﷺ بقضيب الأدب حرزًا للأمين، فتح الله به أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا، زكّى لسانه فقال سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣﴾ (النجم: ٣)، وزكّى بصره فقال: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾ (النجم: ١٧)، وزكى معلمه فقال: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾

(النجم: ٥)، وزكّاه كله فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ (القلم: ٤). هدانا الله بنبيه محمد ﷺ، وأخرجنا به من الظلمات إلى النور، وآتانا ببركة رسالته ويُمن سفارته خير الدنيا والآخرة، وكان من ربه بالمنزلة العليا فلا يُذكر اسم الله إلا ويُذكر النّبيّ ﷺ معه.

وأدنى ما له ﷺ من الحق علينا، بل هو ما أوجب الله من تعزيره ونصره بكل طريق، وإيثاره بالنفس والمال في كل موطن وحفظه وحمايته من كل مؤذٍ، وإن كان الله قد أغنى رسوله عن نصر الخلق، ولكن ليبلو بعضكم ببعض، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب.

وقد ذكر ابن تيمية في كتابه «الصارم المسلول» أن من سبّ النّبيّ ﷺ من مسلم أو كافر فإنه يجب قتله من مسلم أو كافر، وهذا المذهب عليه عامة أهل العلم، فإن كان ذمياً تعيَّنَ قتله، فلا يجوز المن عليه ولا مفاداته، فإن وصل أمره إلى الحاكم وتاب السَّاب أقام

الحاكم الحدّ عليه، وللنّبيّ ﷺ أن يعفو في حقه، وليس للأمة أن تصفح عمن سبّ نبيّها صلوات الله وسلامه عليه، وأن الساب إن كان مسلمًا فإنه يُكفّر ويُقتل بغير خلاف، وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم، والكتاب يقع في نحو من ستمائة صفحة من القطع الكبير.

لقد ثارت ثائرة المسلمين هنا وهناك بسبب إساءة الصحيفة الدانماركية من قبل ودُعي رئيس الوزراء الدانماركي إلى الاعتذار، ولم يعتذر وأصرّ هو وملكة الدانمارك على أنها مسألة حريات، ودُعي البابا للاعتذار، وخرج بدوره في بيان دبلوماسي يتعجب لموقف المسلمين من كلمة نقلها عن الإمبراطور البيزنطي.

وهكذا يتمادى الغرب الصليبي في بذاءته وسفهه، وقد أغراه ضعف هذه الأمة وانحرافها عن دينها، فانتقل من حروب الإبادة التي لا هوادة فيها للمسلمين في أفغانستان والعراق وفلسطين... ومن قبل في البوسنة

والهرسك، حروب صليبية - كما وصفها الرئيس الأمريكي بوش - طالت الشيوخ الرُّكّع والبهائم الرُّتع والأطفال الرُّضع، انتهكوا أعراض المسلمات وشردوا ملايين المسلمين في بقاع الأرض، فعلوا ذلك تحت سمع وبصر الأمم المتحدة - ربيبتهم والمتواطئة معهم - فعلوا ذلك وهم ينعتون الأمة المسلمة بنعوت التطرف والإرهاب، ويتطاولون على رسول الله ﷺ - رمتني بدائها وانسلت - .

وإذا كان حاضرهم شاهدًا على دمويتهم وإجرامهم، فماضيهم لا يقل شرًا وسوءًا، فما بين الحروب الصليبية ومساعدتهم التتار ومحاكم التفتيش، لقد أبادوا ما لا يقل عن ثلاثة ملايين مسلم في الأندلس وحدها، حاضرهم وماضيهم لا يعرف السماحة ولا السلام، وأقوالهم وأفعالهم تنضح بالسُّم الزُّعاف لهذه الأمة، خذ وصفهم من خالقهم، ولا ينبئك مثل خبير ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ (آل عمران: ١١٨)، ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا

النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (البقرة: ١٢٠)، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (البقرة: ٢١٧)، ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ (التوبة: ١٠).

وهم في انطلاقهم لإبادة المسلمين وذبح أطفالهم يصدرون عن عقيدة؛ ففي أسفار التوراة التي يتداولها اليهود تقرير شريعة الحرب والقتال في أبشع صورة من صور التخريب والتدمير والإهلاك والسبي؛ فقد جاء في سفر التثنية في الإصحاح العشرين منه عدد ١٠ وما بعده ما يأتي نصه: «حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفُتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك بالتسخير، ويُستعبد لك، وإن لم تسالمك، بل عملت معك حربًا، فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم، وكل ما في المدينة، كل غنيمتها فتغنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدًا، التي

ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا، وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبًا، فلا تبقِ منها نسمة ما، بل تحرمها تحريمًا - الحثيين، والأموريين، والكنعانيين، والفرزيين، والحويين، واليوسيين، كما أمرك الرب إلهك».

وفي إنجيل متى المتداول بأيدي النصارى في الإصحاح العاشر عدد ٢٤ وما بعده يقول: «لا تظنوا أني جئت لألقي سلامًا على الأرض، ما جئت لألقي سلامًا، بل سيفًا، فإنني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه، والابنة ضد أمها، والكنة ضد حماتها، وأعداء الإنسان أهل بيته، من أحب أبًا أو أمًا أكثر مني، فلا يستحقني، ومن أحب ابنًا أو ابنة أكثر مني، فلا يستحقني، ومن لا يأخذ صليبه، ويتبعني فلا يستحقني، ومن وجد حياته يضيعها، ومن أضاع حياته من أجلي يجدها».

هذا شأن من كتبوا الكتاب ثم قالوا هذا من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلاً، ولم يكن فعل الكاثوليك بالبروتستانت وتنكيلهم بهم بأقل من فعلهم بالمسلمين،

وطوائف النصارى يُكفّر بعضهم بعضًا، وما اجتمعوا مجتمعًا إلا وتلاعنوا فيه، فكلهم لاعن وكلهم ملعون، ولو اجتمع عشرة منهم لقاموا على أحد عشر قولاً.

وإذا كانوا قد نسبوا لله الصاحبة والولد وسبوا الخالق جل وعلا، فهل يُستبعد منهم سبّ النّبيّ ﷺ وانتقاصه، وهم مع تأليههم لعيسى عليه السلام يزعمون أنه قد مات وأن اليهود ألبسوه إكليل الغار وصفعوه على قفاه، وقالوا له يا ابن كذا.. عقائد خربة، وكل إناء بما فيه ينضح.

وهذه العقيدة مسروقة ومغشوشة من عقيدة الهنود في بوذا وكرشته، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ (التوبة: ٣٠، ٣١).

لم ينعم النصارى بالطمأنينة والرحمة تحت حكم

بني ملتهم من الرومان ولم يتذوقوا طعم ذلك إلاّ تحت حكم المسلمين، بل كانت المرأة من أهل الشام لا تأمن على نفسها في وجود أبيها في الوقت الذي تأمن فيه بحضرة صحابة رسول الله ﷺ.

وقد أظهر بابا روما محبة ومودة لليهود في نفس البيان الذي ألقاه في ألمانيا، وهذا لا يستغرب فعقد الإخاء وثيق بين اليهود والنصارى، وهو إخاء عقائدي في المقام الأول، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ (المائدة: ٥١).

وقد استطاع اليهود في الآونة الأخيرة استصدار وثيقة من الفاتيكان تبرئهم من دم المسيح، فبطلت بذلك عقيدة الصلب والفداء عند النصارى، وهي صُلب العقيدة النصرانية، ونحن بدورنا نعتقد أن المسيح في السماء وينزل في آخر الزمان، يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويحكم بشريعة الإسلام،

ويموت بالمدينة، ويُصلي عليه المسلمون، ويُدفن مع رسول الله ﷺ، فلم يقتله اليهود، ولم يمت بعد، بل أُلقي شبهه على يهوذا الخائن ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ (النساء: ١٥٧).

وتواطؤ الغرب الصليبي اليوم مع اليهود على حساب المسلمين في فلسطين وتواطؤهم مع الملاحدة الشيوعيين لإبادة المسلمين في الجمهوريات الإسلامية كالشيشان أمرٌ لا يخفى على أحد، ولعل البابا في بيانه السفيه يُنشط ذاكرتنا؛ حتى لا ننسى عقيدتهم وسلوكهم تجاهنا عبر العصور وكر الدهور، وإلاّ فهم يعرفون النبيّ ﷺ كما يعرفون أبناءهم، مبعثه ومهجره ودعوته، والواجب عليهم أن يدخلوا في السلم كافة، وأن يدينوا بدينه ﷺ؛ ففي الحديث: «**والذي نفسي بيده لا يسمع بي من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي أُرسلت به إلاّ كان من أصحاب النار**» (رواه مسلم).

إن بابا روما يعلم كيف انتشر الإسلام في أوروبا

ومصر وأفريقيا وجنوب شرق آسيا، وكيف عمّت دعوته المشارق والمغارب، كما يعلم أيضًا ما صنعوه هم مع المسلمين في البوسنة والهرسك وأفغانستان والعراق..

وهذا تاريخ لن يُنسى وحقوق لن تسقط بالتقادم، وليس عندنا ما نتوارى به خجلاً، فكم من بلد فتحت بالقرآن وكم من بلد فتحت بالسيف والسنان ولا حجر على سعة رحمة الله، والفارق كبير بين من يجاهد في سبيل الله؛ لإعلاء كلمة الله في الأرض وتعبيد الدنيا بدين ربها، وبين من يقاتل في سبيل الطاغوت، أو لنشر ديمقراطية أو نصرانية، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ (التوبة: ٣٦)، وقال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ (الأنفال: ٣٩)، وقال: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾ (البقرة: ١٩٠)، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٢٣)﴾ (التوبة: ١٢٣).

نصوص كثيرة تدل على جهاد الدفع والطلب، أي دفع الكفار عن ديار المسلمين وطلبهم في عقر ديارهم، قال ابن تيمية في «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»: «. . فإذا وجب علينا جهاد الكفار بالسيف ابتداءً ودفعًا، فلأن يجب علينا بيان الإسلام وإعلامه ابتداءً ودفعًا لمن يطعن فيه بطريق الأولى والأحرى».

لا يُكتفى في مواجهة هذه البذاءات الصليبية بالشجب والتنديد واستجداء الإعتذار وطلب المقاطعة. . فقد فُتحت عمورية بسبب امرأة مسلمة انتُهك عرضها فاستصرخت، ولما علم المعتصم ركب فرسه وانطلق يعدو والجيش على إثره، فتح عمورية ثم قال: أين التي تستصرخ. وقال لإمبراطور الروم جئتك بجيش أوله عندك وآخره عندي.

وقال هارون الرشيد مخاطبا ملك الروم: أما بعد، فمن هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، فإن الأمر ما ترى لا ما تسمع. وكان نقفور قد همّ بمنع الجزية وإيذاء من أسلم عنده.

ولم يقعد صلاح الدين الأيوبي بعد موقعة حطين حتى أتى بالأمير الذي سبّ رسول الله ﷺ وقطع رقبته.

ومن قبل بعثَ رسول الله ﷺ إلى هرقل ملك الروم يقول له: «**أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين**» أي الفلاحين الأكارين، وخيّره بين أمور ثلاثة: إما الإسلام أو الجزية عن يد وهو صاغر أو القتال.

وقد لا نستطيع هذا ولا ذاك، والواجبات تسقط بالعذر والعجز، وعدم الاستطاعة، وشرع الله مصلحة كله، وليس المقدور عليه كالمعجوز عنه، ولكن ليس لنا أن نستمرئ حالة الضعف والاستخزاء، فالواجب أن نأخذ بأسباب القوة وأن نعود لتطبيق شريعة ربنا ونصل الأرض بالسماء والدنيا بالآخرة سواء كنا حكامًا أو محكومين، فلا يفلّ الحديد إلاّ الحديد.

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ (البقرة: ٢٥١)، فإن أبينا ذلك فلنعلم أن لله جنود

السموات والأرض، ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴿٣٨﴾﴾ (محمد: ٣٨)، ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ (الأنعام: ٨٩). ولله أوس آخرون وخزرج يثأرون لنبيهم، وينتقمون لدينهم.

ونحن نبشر بابا الفاتيكان بفتح روما عاصمة إيطاليا اليوم على أيدي المسلمين؛ فقد سُئل النّبيّ ﷺ: أقسطنطينية تُفتح أولاً أو رومية ؟ قال: «القسطنطينية تُفتح أولاً» وقد تمّ الفتح الأول على يد محمد الفاتح العثماني بعد ثمانمائة سنة من إخبار الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه، وستُفتح رومية وهي روما بإذن الله تعالى، ولابد، ولتعلمن نبأه بعد حين، والله غالب على أمره ومُتمّ نوره ولو كره المشركون.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين